التّوجيه المنطقي للتّراكيب النّحوية في القرآن الكريم

د. عبد القادر بن فطة، جامعة معسكر، الجزائر.

ملخّـــص

القرآن نزل بلغة العرب، ملامسا أساليبهم، ولكن بنمط جديد لم يألفوه ،فاحتلت لغته مكانة راقية في فكر الأمة لأهميتها في إدراك النصوص والقدرة على التواصل مع التراث والفكر الحديث. وجد النحاة في تراكيبه النحوية متسعا للتخريج مع إفادة المعنى وحفظ لسانها. وما يستفاد منه هو المنهج الذي بني عليه في إبراز أركان الجملة النحوية وموافقتها لأقيسة اللغة.

فالتراكيب النحوية في القرآن تجمع بتن الذوق والنظام العقلي، أثبت صبغة شاملة فهي لم تقف عند الكلمة المفردة بل أصبحت منهجا لتحليل الجمل على معايير ثابتة تستمد موضوعاتها من إعجازه كاشفة عن أنساق تركيبية بديعة،جامعة الأبنية الكلية للنص في نظام لغوي مشتملا على كل الاستعمالات اللغوية ذات الأنماط المختلفة.

Abstract

Quran was revealed in arabic touching the arabs methods but in a new way that they were not familiar to. So, Arabic occupied an important place in nation's life because of its importance in perceiving texts and its ability to communicate with the modern thought and legacy. Grammarians found in its grammatical structures an occasion to express its meanings and saving its language. What's good is the method which was built upon in highlighting grammatical sentence structures and its equivalence of the language systems.

Grammatical Quranic structures combine between sensitivity and mental system that has demonstrated a global character because they are not based on the single word however they have became a method used to analyze sentence following fixed criteria, inspiring their themes from its miraculousness and revealin, as well, exquisite structure systems. They combine also global text structures in a linguistic system including all language uses with all their different.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

-The possibility of increasing the cultural weight of Arabic language in the short and long run.

توطئـــــة:

اللغة التراكيب النحوية من مظاهر البارزة في التراث اللغوي العربي،لها خصائصها وسماتها التعبيرية والدلالية مما جعلها موضع اهتمام لدى القدامى ،كونها من معالم اللغة .ولأهميتها انكبّ النحاة على الاقتراب منها لإظهار قدراتهم الإبداعية تنسجم مع طريقة قراءاتهم للنصوص،فرسموا دورها،وشخّصوا طابعها النحوي فاستثمروا قيمتها بصورة واضحة في القرآن الكريم، ما جعلهم ينبّهون إلى أهميتها لارتباطها بالنظام اللغوي القائم على اختزان ضوابط نحوية تتيح للسان العربي التصرف في أساليب التعبير، فهو مبنيّ على أسس علمية تحمل وجوه العربية في مواضع الكلمات، واختلاف وظيفتها داخل التراكيب .

أثر القرآن الكريم في بناء التراكيب النحوية:

القرآن ينتقي من التراكيب ما يلائم المقام ليدلّ على المعنى ،فيؤثِر بعض الصيغ ليكمل الدلالة بغية تأكيد القيمة التعبيرية. ووظّف اللغة توظيفا فنيا، فبلغ بالتراكيب مبلغ الكمال الدلالي ثمّ أثراها صوتيا ليحق أبعادا ذوقية ،فتتدفّق التلاوة مقارنة بكلام العرب(الألفاظ دالة على الأصوات، وقد توافرت في القرآن من الألفاظ الدقيقة عند إطلاقها، يكون اللفظ يدل على ذات الصوت، والصوت يتجلى فيه اللفظ نفسه.) [1]

إنّ الانسجام الموجود بين الكلمات المشكّلة للتراكيب جعلت الأنماط واضحة، ومستقلة بوحداتها يعطيها رنّة متميّزة عن غيرها التي تشاركها في المعنى نفسه قال الخطابي 388هـ (إنّ الكلام إنّما يقوم بأشياء ثلاثة :لفظ حاصل ، ومعنى قائم، ورباط ناظم، و إذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور في غاية الشرف والفضيلة،حتى لاتره شيئا من الألفاظ أفصح،ولا أجزل ، ولا أعذب من ألفاظه.) [2]

ورغم أنّ العرب اجتهدوا في الوصول إلى حقيقة التراكيب النحوية في النص القرآني إلاّ أنّ جهودهم لم تصل إلى كمالها لسمو النص وإعجازه، فهي مدعّمة بقرائن مميّزة تصرف عنها الغموض، ويختلف عن نمط الجاهلي في أبنيته ويستقل بجمله فلا نجد أثرا لبيئة أو عصر، لذلك شغلت التراكيب النحوية العلماء فأفردوا لها مؤلفات خاصة تدرس أنواع الجمل وأنماط التراكيب كإعراب القرآن للنحاس و الزجاج . حتى علماء التفسير تطرّقوا إليهافي كتبهم كأبي حيان التوحيد في البحر المحيط والزمخشري

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الكشاف والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير،فقد أولوا المستوى التركيبي أهمية بالغة فكانت من أهم الأدوات التي استعان بها هؤلاء في تفسير الآيات، واستنباط القواعد . فقد جعلوها أصلا من أصول التفسير، وشرطا في البحث اللغوي. وتظهر أهميتها في التأويلات التي ذهب إليها بعض المفسرين لأنّ المفاهيم تتطلب العودة إلى النص القرآني للتحقّق من تطابق الضوابط التي وضعها النحاة مع تراكيبه ،فقد أكدّوا على ضرورة الالتزام بهافي التأصيل والاحتجاج.

لقد تيقّن النحاة بأنّهم لن يستطيعوا فهم خصائص اللغة العربية إلا بمعرفة ما يحمله الدرس النحوي في القرآن (فهو علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله سبحانه وتعالى، وكلام الرسول وكلام فصحاء العرب الغرض منه معرفة إعراب كتاب تالله من خطئه وفهم معاني كتاب الله عزّ وجلّ و فوائده).[3]

فسيادة القرآن عليه بلغت به مرحلة النضج و الكمال استقى منها النحاة شواهدهم وأدلّتهم ،و من العجب أنّ بعض صيغه تأخذ حقّها من الاستعمال عنده، ولا نكاد نسمعها من أهل اللغة و البيان (ترى جملة تراكيب القرآن من غرابة النظم، على ما يشبه هذا الوضع في ظاهر الغرابة وترى فيه من البلاغة الجامعة خاصة أضعاف ما أنت واجده لأهل اللغة كلّهم من الشعراء والخطباء والكتاب). [4]

كما عجز النحاة واللغويون عن توظيف مجموعة من التراكيب في الصياغة واردة في القرآن الكريم من نماذج ذلك قوله تعالى ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**﴾ يوسف85. فهذا التركيب غاب عن عقول العرب في كلاهم ،فأسلوب القسم مصدّر بالتاء نادرة الاستعمال فيها زيادة في المعنى عن الواو، وكذلك الفعل(تفتأ) التي حذف النفي بمعنى لا تفتأ فجملة القسم تحمل دلالة عميقة تتمثل في الإشفاق على سيدنا يعقوب الذي تأثر تأثّرا كبيرا بسبب عدم تناسيه يوسف.. كذلك قولـــــه تعالى ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا**﴾ الكهف11. فالعرب عهدت (ضرب السيد على يد عبده)، ما يلاحظ على هذا التركيب أنّ المفعول به محذوف تقديره الغشاوة أي فضربنا على آذانهم غشاوة، فالنمط لم يعرفه العرب ويعدّ من الإعجاز، فقد أدرك النحاة مبلغ ما جاء به القرآن الكريم من أنماط تركيبية التي لا تحتوي التفاضل باعتبارها معجزة لها آثارها في الحقل اللغوي.

فالقرآن الكريم هو الذي أنقذ اللغة العربية وتراكيبها من تلك النظرة القبلية المجزّأة التي تعزل الفرد عن تلك الرؤية الشاملة التي أخذ بها اللغويون والنحاة في جعل علم التراكيب في موقع الدقّة والقوة، وأبعد عنه العزلة اللغوية ليجعله أساس استمرار التطور اللغوي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا العلم ليس جامدا لكنّه متجدد في ظل القرآن الكريم ما جعله من الأنظمة اللغوية التي قامت عليها لغة القرآن ،فقد جعله الطريق الأمثل في استيفاء عافية اللغة العربية(فالصوت والكلمة والتركيب النحوي هي الوحدات الثلاث للكلام المتّصل وهي الوحدات تدخل في النظام اللغوي الخاص بكلّ عضو من أعضاء اللغوية بعد أن تستخلص من أحداث كلامية لا حصر لها ، سواء أكانت هذه الوحـــــدات مسموعة أو منطوقة). [5]

كما استعان النحاة بالقراءات القرآنية خاصة المتواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ووتخضع لأقيسة اللغة،و من أوائل النحاة كبار القراء كالكسائي وحمزة، فكان مولد النحو العربي بين أحضان هذه القراءات.فلاختلاف القراءات وتنوّعها فوائد نحوية ارتكز عليها النحاة في الترجيح والتعليل بقدر بلغ ذروة علمهم . وما يلاحظ أنّ البصريين لم يحتجوا كثيرا بالقرآن الكريم إلا ما يناسب أصولهم، أمّا الكوفيون فقد أغرقوا في الاحتجاج بها أكثر من الشعر، فكانت قواعده لا تخضع كلّها للقياس ما جعلهم أوسع من البصريين في الشواهد ،فهي تمثّل رصيدا هاما من الموروث اللغوي المتمثّل في لغات العرب التي نزل بها القرآن الكريم، فهذا التوجّه للكوفيين أثنى عليه بعض العلماء (من النحاة متنوع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكما لفظيا ويتخذه مذهبا، ثم تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم، فيأخذ في صرف الآية عن حكمها).[6]

إنّ النحويين في إعرابهم للتراكيب الواردة في القراءات القرآنية يؤثرون وجها واحدا للقراءة ، ثمّ يفتح المجال للاجتهاد حتى لاتهمل الوجوه الأخرى فغايتهم من ذلك تعليمية ما دام أغلبهم من شيوخ حلقات العلم من ذلك قوله تعالى : ﴿**يَأَيُّهَا النّاسُ اتّقُواْ رَبّكُمُ الّذِي خَلَقَكُمْ مّن نّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتّقُواْ اللّهَ الّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾ النساء 1قرأ حمزة بالخفض على العطف على الهاء في (به) وهو قبيح عند البصريين، قليل في الاستعمال، بعيد في القياس لأن المضمر في (به) عوض من التنوين، ولأن المضمر المخفوض لا ينفصل عن الحرف، ولا يقع بعد حرف العطف، ولأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان يحسن في أحدهما ما يحسن في الآخر، ويقبح في أحد ما يقبح في الآخر، فكمل لا يجوز «واتقوا الله الذي تساءلون بالأرحام» فإن أعدت الخافض حسن[7].

وقرأ الباقون كابن كثير ونافع «والأرحامَ» بالنصب، من نصبه عطفه على اسم الله تعالى أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ويجوز أن يكون عطفه على موضع كما تقول مررت بزيد وعمرا بعطفه على موضع بزيد لأنه مفعول به في موضع نصب[8].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقرأ عبد الله بن يزيد «والأرحامُ» بالرفع، وذلك على الابتداء والخبر مقدر، تقديره والأرحامُ أهل أن توصل[9].

فلهذه الآية ثلاثة تراكيب نحوية النصب لأنه يناسب القاعدة النحوية وهو العطف على ما سبق، الرفع الجملة ابتدائية الأرحام مبتدأ و الخبر محذوف تقديره أهل أن توصل، وأما الخفض فهو يتنافى مع القياس، وقليل في الاستعمال إلا بإعادة الخافض مثل قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ المؤمنون 22.

وكذلك قوله تعالى: ﴿لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ﴾ النساء62.(قرأ الجمهور كابن كثير والكسائي «والمقيمين» بالنصب بإضمار فعلى تقديره، وأعني المقيمين الصلاة، على أن الجملة معترضة بين المبتدأ والخبر، وقيل هو العطف على ما أنزل على أن المراد بهم الأنبياء والملائكة)[10]. إنه منصوب على المدح؛ أي وأعني المقيمين، وهو مذهب البصريين وإنما يأتي ذلك بعد تمام الكلام[11]. وقرأها أبو عمرو وعاصم والأعمش وابن مسعود والحسن (والمقيمون) بالرفع عطفا على الراسخون أو على الضمير في يؤمنون أو على أنه مبتدأ والخبر أولئك سنؤتيهم[12]. فيجوز في بعض النعوت النصب على التخصص، والرفع على الاستئناف للاهتمام كما فعلوا ذلك مع (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ) في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنّ الْبِرّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىَ حُبّهِ ذَوِي الْقُرْبَىَ وَالْيَتَامَىَ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السّبِيلِ وَالسّآئِلِينَ وَفِي الرّقَابِ وَأَقَامَ الصّلاَةَ وَآتَى الزّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصّابِرِينَ فِي الْبَأْسَآءِ والضّرّاءِ﴾ البقرة 177.

قال الله تعالى: ﴿وَالسّارِقُ وَالسّارِقَةُ فَاقْطَعُوَاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ سورة: المائدة - الآية: 38 (والسارقُ والسارقَةُ) قرأها عيسى بن عمر وابن أبي عبلة بالنصب.

(والسارقَ والسارقَةَ) فيها على تقدير: اقطعوا السارق والسارقة وهو اختيار سيبويه، لأن الفعل بالأمر أولى: قال سيبويه رحمه الله تعالى : الوجه في كلام العرب والنصب كما نقول: زيدا اضربه[13].

ويريد سيبويه : إن قراءة النصب جاء الاسم فيها مثبتا على الفعل غير معتمد على ما تقدم، فكان النصب قويا بالنسبة إلى الرفع، حيث يبنى الاسم على الفعل لا على المتقدم[14].

أما قراءة الجمهور كنافع وابن كثير بالرفع ورفعهما على الابتداء والخبر محذوف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عند سيبويه، كأنه قيل: وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي : حكمهما. ووجه آخر وهو أن يرتفعا بالابتداء والخبر (فاقطعوا أيديهما)، ودخول الفاء لتضمنها معنى الشرط لأن المعني: والذي سرق والتي سرقت: فاقطعوا أيديهما، والاسم الموصول. ليتضمن معنى الشرط[15].

الرفع أجود فيه إجماع الجمهور، ونفس الشيء نجده في قوله تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ**﴾ النور2.

التخريجات النحوية التي وصل إليها النحاة كانت نتيجة الجدل الذي قام بينهم، فسعى كل واحد أن يكون له السبق في الجديد ليبني القواعد الإعرابية، وهذا ما يذكره إبراهيم أنيس (والحق أن هذا النوع من الاختلاف الإعرابي لا يمت إلى اللهجات بصلة، وإنما هو صناعة النحاة حيث اشتد الجدل بينهم وحاول كل فريق أن يأتي بالجديد في تلك القواعد الإعرابية التي ملكت على مشاعرهم، وصرفتهم إلى كثير من البحوث القيمة في اللغة) [16].

فالصراع الذي نشب بين البصريين والكوفيين دفعهم إلى وضع فلسفة لغوية تتّسم بالتحكّم العقلي يصنفون الشواهد ويكيفونها حسب منطقهم .فقد وجدوا في القراءات فوائد لغوية لا يمكن تجاهلها إذا وافقت القياس، وخدمت المعنى، ولكن إذا نظرنا من خلال التحليل إلى الاختلافات في تغيير بنية الفعل من المعلوم إلى المجهول أو زيادة حرف أو نقصانه أو أن يتحول الفعل إلى اسم ويتغير الموقع الإعرابي، (نصبا ورفعا وخفضا) نجدها أثرت سلبا على السياق وأضعفت الحكم.

السّياق والتّراكيب النّحوية:

لقد أشاد العلماء في معاجمهم بأهمية السياق(السياق لغة: من السوق يقال: انساقت لإبل،وتساوقت إذ تتابعت، والمساوقة: المتابعة، كأن بعضها يسوق بعضا. ويطلق الاتساق أيضا على الانتظام، والنظام: العقد من الجوهر، والحرز ونحوهما، سمي بذلك لنظمه الجوهر والحرز بعضه إلى بعض ي نظام واحد، واتساق واحد). [17]

وقد ركّز العلماء على السياق في بناء مذهبهم الذي يبنى على الأنماط التركيبية لتحديد الأبعاد الدلالية،فوظّفوا جملا موافقة لخصائص العربية مع مراعاة أصلها الذي انبثقت منه،فهو من أكبر القرائن الدالة على التراكيب النحوية، وقد أفاض اللغويون الحديث عن علاقة السياق بالتراكيب لأنّ الاحتكام إليه في توضيح المجمل تخصيص العام ، وتقييد المطلق . والدليل هو أنّ أوّل من استخدمه الشافعي204هـ فقد خصّص له بابا في كتابه الرسالة الصنف بين سياقه ومعناه (وتبتدئ العرب الشيء من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كلامها يبين أول لفظها فيه من آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه من أوله .) [18]

فالسياق بالمعنى الواسع فيقصد به كل القرائن التي تساعد على الوقوف على مضمون النص، وهذا النوع اختصّ به الأصوليون فعلم النص لا بدّ له من علامات مكتوبة أو منطوقة تساعد على تحديد المبنى لكنّ الوصول إلى المعنى يحتاج إلى قرائن معنوية ولفظية (إذا ظهر مراده –أي المتكلم- ووضح بأي طريقة كان عُمِل بمقتضاه، سواء كانت إشارة ،أو كتابة ،أو بإيماءة أو دلالة عقلية، أو قرينة حالية، أو عاد له مطردة لا يخل بها.) [19]

وللسياق أثر في تحديد الغاية من التراكيب على مجرد السياق (فإنّما خاطب الله العرب بلسانهم على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها. وإنّ فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر ، ويتعين بأول هذا منه عن آخره.وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه وعاما ظاهرا يراد بع الخاص، وظاهرا بعرف في سياقه.) [20]

فالسياق بدلالة الألفاظ يستوعب ما تحمله الآيات القرآنية و يحدّد نوع التراكيب، في إزالة الغموض وإظهار الفروق الدلالية. فكانت الحاجة ماسة عند النحاة إلى كشف المراد من النص جعلتهم يتناولونه أكثر من غيرهم.

فالتراكيب في القرآن ودلالاتها تستحقّان مراعاة السياق ولذلك استثمره البلاغيون في كتبهم،وقد سلكوا في التعامل مع النص مسلكا لفهم دلالة التراكيب تجنّبا للزلل. فالجاحظ ضبط مميزات التراكيب البديعة وفق مقاييس بلاغية تهتم باللفظ في مجاله الخاص، ثمّ في صلته بالمعنى بغية فهم ارتباط الوحدات في السياق الواحد.وقد تفطّن إلى أهمية السياق ودعائمه فأحصاه ا(وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد:أولها اللفظ ،ثمّ الإشارة، ثمّ العقد، ثمّ الخط ،ثمّ المال التي تسمى نِصبة.)[21] ما ذكره الجاحظ من عناصره قد سبق به المحدثين الذين اصطلحوا على تسميته بالسياق اللغوي وغير اللغوي.كما أنّه يضمن القيمة الفنية لعلاقة الصوت بمدلوله،فالسياق عنده نوع من أنواع البيان جاري في القرآن وكلام العرب. فدلالته مبنية على الذوق(دلالة السياق ذوقية ، تعلق بلطائف الكلام، وحسن التركيب و النظم ،لذلك يعسر إقامة الدليل،وبيان الحجة على هذه الدلالة في المناظرات والجدال.) [22]

فهو في القرآن الكريم يدلّ على سموّ التراكيب النحوية يستوعبها المتلقي بمساعدة القرائن السياقية، كما أنّه يعلّل انتقائها، لكلّ تركيب ،كما يفصح عن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحذوفات و هذا دليل على الإعجاز القرآني. فدراسة النص في ضوء السياق يؤكد أنّ كلّ التراكيب النحوية قد ذكرت في مواقعها المناسبة، وأنّ دلالتها لا تتحقق إلا بذكر تلك المواقع.كما يكشف عن الانسجام بين الترتيب الزمني تبعا لأسباب النزول وهذا ما نلمسه في القصص القرآني.

وقد أشار الجرجاني 471هـ إلى تماسك الكلمات وملاءمتها للمقام(النظم هو توخي معاني النحو في معاني الكلم ، وذاك أن من شأن الإضافة الاختصاص فهي تناول الشيء من الجهة التي تختص منها بالمضاف إليه، فإذا قلت (غلام زيد)تناولت الإضافة(الغلام) من الجهة التي يختص منها (زيد) وهو كون مملوكا.) [23]

الناظر إلى هذه آراء يجد فيها اختلافا في كثير ما دفعهم إلى ضبط منهجهم فيها، ويلاحظ عليها أنّ لهم إلماما واسعا بعلوم اللغة ، لذلك تمكّنوا من الإحاطة بالسياق اللفظي. وما نقرّه أنّ السياق موجود قي كلّ الأنماط التركيبية، ولا يمكن استيعاب الدلالة إلاّ بما دلّ عليها اللفظ وسياقه، والوقوف عليه يرجع إلى دقّة الفهم و قوة الإدراك لدى النحوي.

فلو أخذنا قوله تعالى ﴿**اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ**﴾ الشورى 17فسياق الجملة خبرية بيد أنّه خرج ليأخذ معنى إنشائيا المتمثّل في الترجي، فقيام الساعة مرتبط بقرينة لعل: الدالة على الترجي وهذا التركيب منبثق من التراكيب المتّصلة بهذا التركيب واحتكم إله النحاة لأنّه من أكبر القرائن الدالة على الأنماط التركيبية للسياق،وتحديد الغاية (فإنّما خاطب الله العرب بلسانهم على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها. وإنّ فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر، ويتعين بأول هذا منه عن آخره. وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به وعاما ظاهرا يراد بع الخاص، وظاهرا بعرف في سياقه.) [24]

فالسياق يستوعب ما يحمله النص، ويحدّد نوع التراكيب في إزالة الغموض و إظهار الفروق الإعرابية. فهو يخلق المناسبة بين الجمل، فالاهتمام لا يقف عند إبراز هذه المناسبة بقدر ما يكشف مطابقة الكلام بذوق مميز ماثلا عند النحاة ،أو انتقاء الأنماط التركيبية التي تلائم الموقف.

قال تعالى ﴿**اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**﴾الشورى 19 في الآية صفتان من صفات الله الحسنى اللطف بخلقه ، ما يلاحظ على الآية أنّ الخبر ورد على صيغة «فعيل الدالة على المبالغة. فهو في القرآن الكريم يدلّ على معاني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجمل يستوعبها المتلقي بمساعدة القرائن السياقية ، كما أنّه يعلّل انتقاء التراكيب، لكل تركيب معناه ،كما يبين عن المحذوفات وهذا دليل على الإعجاز القرآني. فدراسة النص في ضوء السياق يؤكد أنّ كلّ التراكيب قد ذكرت في مواقعها المناسبة، وأنّ دلالتها لا تتحقق إلا بذكر تلك المواقع.

أمّا عند اللغويين فقد التفتوا إلى أهميته،و نظروا إلى انعدام دلالة الجمل إذا كانت خارج السياق. فقد تناولوا سياق الموقف لكن تحت مصطلح الحال، وتحدّثوا عن عناصر الموقف اللغوي المخاطب،والعلاقة بينهما مع فحوى الحديث . وأول من اعتمده الخليل175هـ وهذا لإظهار التركيب ودلالته . وقد استفاد منه النحاة ، كما تعرّض إليه سيبويه في تحديد معاني الألفاظ(اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين. إنشاء الله تعالى فاختلاف اللفظين ولاختلاف المعنيين هو نحو:جلس وذهب.واختلاف اللفظيين والمعنى واحد؛نحو:ذهب وانطلق .واتفاق والمعنى مختلف، قولك، وجدت عليه من الموجدة ووجدت إذا أردت وجدان الصالة و أشباه هذا كثير). [25]

أمّا ابن جني فقد درس الجملة، وتماسك ألفاظها ،و ركّز على ترتيبها وقيمتها الدلالية وهذا في إطار سياق النص، وبيّن دور السياق أو الحال أو المشاهدة عنده في الإفصاح عن المحتوى خاصة سياق الموقف فمثلا في باب الحذف(و قد حذف الصفة، ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب...، ونحو ذلك.)[26]

فأهل اللغة لم يكونوا غافلين عن علاقة السياق بالصوت والدلالة .لكونه أساسا في بناء النص وتفسيره وجزءا من نظام اللغة، فلا يمكن معرفة معنى اللفظ إلاّ في إطار السياق.فهو الذي تبنى على أساسه أنماط التراكيب، ويؤسس الفوارق ونوعيتها وهو من أكثر القرائن الدالة على أنواع الجمل. وأفاض النحاة في الحديث عن صلته بعلم التراكيب للاحتكام إليه في توضيح موقع الجملة داخله فهو يستوعب ما تحمله الأنماط، ويحدد أنواع الأساليب في إظهار الفروق التركيبية.

فالقدامى وظّفوا السياق توظيفا علميا لدعم الدرس اللغوي، فالنص يتشكّل من مستويات متنوّعة المعجمية الصرفية النحوية صوتية، ولكلّ منه ضوابط وقف عنده أصحابها، فالمستوى التركيبي يعكس عبقرية العرب في دراستهم لمصادر اللغة العربية دراسة معمّقة أوصلتهم إلى تقعيد القواعد كانت أصلا من أصول اللغة هذا ما نجده في تعريف النحو (هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه وإعراب وغيره كالتثنية والجمع، والتصغير والتنكير، والإضافة النسبة، والتركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

له من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها و إن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردّ به إليها.) [27]

كما أبان السياق عن المحذوف بوجود قرينة دالة عليه،لأنّ الأنماط التركيبية مختلفة اتّحد قرائنها في سياق معين تتّضح دلالة التركيب النحوي(فالألفاظ في التركيب أو في سياق النص قوي روحية تملأ ما يتطّلع به القصد اللغوي، وتأتي من الجمل أو التراكيب فكلّ منهم دلالة ومعنى لا تتحقّق دلالتهما أو معناهما إلا بالقصد اللغوي.)[28]

ومن أهم وظائف السياق تحديد معالم التراكيب لإحياء روح المعنى بعد أن هيمنت عليه الضوابط العقلية فاستنفذوا طاقتهم في البحث عن التخريجات والتعليلات. فالسياق ظاهرة لتذوّق جماليات اللغة، فهو قمّة الدراسة التركيبية يعتني بالعلاقات بين الكلمات الواردة في الجمل.فالقرائن التي تتضافر داخل السياق تبرز إعراب الجمل بالتأويل الحقيقي لا ظني.

وجد أهل العلم العلاقة وطيدة بين التراكيب والسياق مثّلت الرقيّ اللغوي والسرّ هو أنّ السياق وضع كلّ جملة في موضعها لتعميق الفهم مع الاعتماد على واقع الكلمات في بناء النمط.فلا جدوى للتركيب إذا تناوله الدرس بمنظور عقلي محض، فالسياق تتجلى فيه قدرة التركيب على اختزان المعاني والإيماء إلى إعرابها. فكان سببا أساسيا في توسّع الأنماط التركيبية ما ساعد على دعم آراء النحاة، فقامت الدراسات النحوية على خدمة اللغة وضبطها لفهم ما يصعب على المتعلم من إدراك حقائق المسائل المتعلّقة بالجمل. فقد جعل السياق للاعتساف والانحراف في التخريج حدا فلا يمكن تحميل النص أكر مما يحتمله ،فقد بدّد كلّ رأي لا سند له ولا يكتمل معنى واقعا.

ومع أنّ التراكيب النحوية تعطي السياق حصته ،و تحكّمه على المسائل العويصة معتمدا في ذلك على قرائنه فترفض ما لا يقرّه، ويرتضي من الإعراب ما كان موافقا للقياس. فالجملة قد يتعدد معناها فتصبح بحاجة إلى قرينة تكشف إعرابها (وهكذا تعتمد قرينة السياق على مساحة واسعة من الركائز تبدأ باللغة من حيث مبانيها الصرفية وعلاقاتها النحوية ومفرداتها المعجمية تشمل الدلالات بأنواعها من عرفية إلى عقلية). [29]

إنّه ركن هام في التراكيب النحوية ،قدّم لها خدمة في معرفة أنواع الجمل، وصور التراكيب الخفية، وسهّل المهمّة لمعالجة عدّة مسائل نحوية و قف عندها العرب، فهو ظاهرة حتمتّها حركة الارتقاء اللغوي، إذ يعتمد على إظهار التغيير الذي يلحق الضوابط المتّصلة بالتراكيب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالقدامى اهتمّوا بالسياق في دراسة الجمل والتراكيب، فاحتكموا إليه للإفصاح عن أسرار اللغة ، متأثرين بالقرآن والموروث اللغوي. وركّزوا على أهمية الذوق العربي في حرصه على قوة الصلة بين الصوت ودلالته.

إنّ رؤية القدامى لهذه العلاقة كانت واسعة تعدو انتقاء التراكيب المناسبة لتحقيق المعاني الصحيحة، فقد أدركوا شيئا مهما في الدرس اللغوي ،طبقوه بطريقتهم الخاصة، وكانت عنايتهم موجهة نحو الصحة والخطأ، ونحو الجودة وعدمها.

الهوامـــــــش:

1 - علي محمد الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، ط1، دار المؤرخ الصغير، بيروت، 1420هـ، ص: 203.

2 - الخطابي، بيان إعجاز القرآن، تحقيق: محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله، ط1، دار المعارف القاهرة،ص: 27.

3 - محمد أحمد قاسم، إعراب الشواهد القرآنية، ط4المكتبة العصرية، بيروت، 1142هـ، ص: 8.

4 - الرافعي، إعجاز القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 8 القرآن، ص: 172.

5 - نفس المرجع، ص: 251.

6 - ستيف أولمن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر،مكتبة الشباب القاهرة، ص: 35.

7 - نقلا عن أصول النحو لسعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السوريـــــــة، ط1،ص: 29.

8 - الفراء، معاني القرآن، ط3عالم الكتب بيروت، 1403هـ، 1/245.

9 - مكي القيسي،الكشف عن وجوه القراءات، تحقيق: محي الدين رمضان،مؤسسة الرسالة بيروت، 1974 ،1/375.

10 - مكي القيسي، مشكل إعراب القرآن، تحقيق:حاتم صالح الضامن، ط2 مؤسسة الرسالة بيروت، 1/185،1187 . 187.

11 - ابن عطية، المحرر الوجيز، دار ابن حزم، بيـــــــروت، 2002، ص: 397.

12 - أبو سعود،،إرشاد العقل السليم، دار إحياء التراث العربي، بيروت،2/254.

13 - العكبري،التبيان في إعراب القرآن،تحقيق: علي محمد النبجاوي،ط1دار الجيل بيروت، 2/407.

14 - البيضاوي، أنوار التنزيل، تحقيقعبد القادر عرفات، دار الفكر، بيروت، 1/280،1996.

15 - ابن عطيه،المحرر الوجيز، ص: 539.

16 - سالم مكرم، القراءات القرآنية وأثرها في الدراســـــات النحوية، ط3، مؤسسة الرسالة بيـــــــــــــروت، 1985، ص: 145.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

17 - الزمخشري، الكشاف، ط3، مؤسسة الرسالـــــــة، بيروت، 1/611،1985.612.
18 - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص: 84.
19 - الشاطبي،الموافقات، دار الفكر العربـــــــــي، بيروت، 3/413.
20 - خالد محمد العروسي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، ص: 11.
21 - نفس المرجـــــــــــــــــع، ص: 362.
22 - خالد محمد العروسي، دلالة السياق، ص: 11.
23 - نفس المرجـــــــــــــــــع، ص: 362.
24 - الشافعي، الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت،1339 هـ، ص: 51ـ52.
25 - سيبويه، الكتاب، تحقيق:عبد السلام هارون،ط3، عالم الكتب، بيروت، 1/24.
26 - ابن جني،الخصائص، تحقيق:علي النجـــار، دار الكتاب العربي، 1/272.273.
27 - ابن جني، الخصائص، 1/34.
28 - ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريـــب، دار المعرفة، بيروت، ص: 653 .654.
29 - تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ط1، عالم الكتب القاهرة، 1413هـ، ص: 221 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com